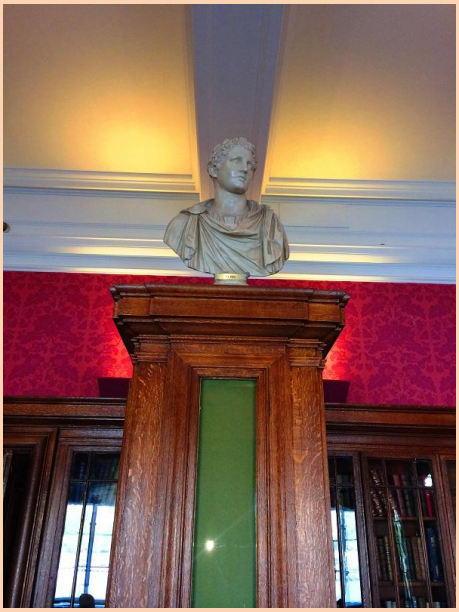

مكتبة الإفطار

عندما ترتبط بموعدٍ لإطلالة من خلال ملحق أسبوعي تشعر أن ليس من حقك أن تتوقف لأي سبب، وعندما يحدث السبب وتُبدي رغبتك للقائم على الملحق في التوقف لشهر ونصف أو شهرين، وتسافر لشأنك مطمئناً إلى أنك ستتوقف قليلاً تفاجأ بأنك يجب أن تستمر، فتحاول استراق دقائق تكتب فيها شيئاً..

ولكن ماذا تكتب؟ عندها تكتشف أن الإعدادات لأشياءٍ أخرى قد استهلكت الجانب الأكبر من وقتك واهتمامك وتجد الأفكار مستعصية عليك.. كتابة أي شيءٍ ولو سطرين لا يتم إلا باستعداد معينٍ للذهن.. المقال لا يولد بلا فكرة والفكرة لا تأتي لذهنٍ تشغله أشياء كثيرة يجب أن تتم.. لا بأس.. الحياة يجب أن تمضي على أية حال.. يجب أن تستيقظ ثم تذهب لتناول الفطور.. ولكن أين قاعة الفطور؟

الفطور في المكتبة..

إنه أحد أفرع الماريوت ذات الخمس نجوم، فلماذا الفطور في المكتبة؟ اتجهت إليها.. إنها مكتبة حقاً، الموائد المستديرة كان يمكن أن تكون طاولات للقراءة وسط الأرفف وفي منتصف المكان.. المكتبة مليئة بالأرفف التي تغطيها أبوابٌ زجاجية تطلّ من خلفها كتبٌ "معتقة" مثل خشب خزانات الكتب وكل شيءٍ آخر تقريباً في هذا الفندق

ومثل كل شيءٍ تقريباً في لندن، وفوق كل خزانةٍ أو مجموعة أرفف يقف تمثال نصفي لشخصية ما..

ولكن لماذا، وكيف؟ لم تعد المكتبة تستخدم كما أجابتني النادلة، فتحولت إلى قاعة إفطار صباحاً وشاي عصراً، وأحياناً تستأجر لعقد اجتماعات وندوات..

والكتب.. بصراحة لا تبدو مغرية.. ثمة أجواءٍ شبحية تلفها بصمت.. ثم إن الكتب أصبحت تقرأ من شاشاتٍ بها تحكم في حجم الخط ولون الصفحة.. فلترقد هذه المجلدات بسلام بعد أن أدّت دورها وأوصلت الإنسان إلى مرحلةٍ تقلص دورها فيها.. كأني بها تقلب السنارات بين أصابعها وهي تحيك الملابس الصوفية وتحكي أيام مجدها قبل أن تتحول إلى ديكور..

نشر هذا المقال بملحق جريدة الشرق الثقافي بتاريخ ٢٠١٤/٥/٤م